♦♦♦

المحاضرة السادسة (06): الأسباب والعوامل الأسرية والاخفاق الدراسي:

♦♦♦

تمهيد:

إن جلّ الدراسات الميدانية الحديثة ذهبت إلى ضرورة التركيز على البيئة الخارجية التي توفر أمام التلميذ فرص التعلم والتحصيل الدراسي. ونعني بذلك الأسرة والمناخ الأسري وكل ما يحيط بالتلميذ من جوانب عديدة من شأنها أن تعيق أو تشجع نشاطه المدرسي، وباعتبار أن الأسرة أول بيئة يقابلها الفرد ويتفاعل معها في حياته؛ فإن هذه الأخيرة تسهم إسهاما كبيرا في تشكيل ثقافة الطفل وتحصيله العلمي. ويمكن أن نتناول هذا العنصر من خلال العديد من المقومات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي مصدرها الأوضاع الأسرية للأطفال التلاميذ.

المبحث الأول- الوضعية الاقتصادية للأسرة والإخفاق الدراسي:

لقد أكّدت الدراسات والأبحاث التربوية على وجود علاقة كبيرة بين الوضع الاقتصادي لأسر التلاميذ والمستوى التحصيلي والتعليمي الذي يصل إليه كل تلميذ، حيث تلعب المتغيرات الأساسية في هذا المجال والمتمثلة في مهنة الأب، ووظيفة وعمل الأم، ونوعية الدخل الشهري الأسري، وطبيعة السكن، وغيرها من المتغيرات التي لها دورا هاما في توجهات التلميذ وفي تحصيله الدراسي تفوقا وإخفاقا.

وتعتبر الوضعية الاقتصادية أحد أهم العوامل المؤثرة على النجاح الدراسي، فالدخل الضعيف ونقص الإمكانيات المادية من مسكن مريح ووسائل تعليمية مساعدة؛ يكون له انعكاسات على تنشئة الطفل تعليميا. إذ توصل"روبرت وزملائه" في دراسة موسعة بكندا شملت 20025 طفل (حتى سنة 13) إلى أن الأطفال المنحدرين من أسر ذات دخل مرتفع (65000 دولار وأكثر) تحصلوا على معدلات أعلى من الأطفال المنحدرين من أسر ذات الدخل الضعيف. (أقل من 20000 دولار) في متغير القراءة والرياضيات. (Roberts; Smith; Nason, 2001)

فالوضع الاقتصادي السيئ والصعب وحالة الفقر عموما وعدم الشعور بالأمن؛ هي أوضاع من شأنها أن تؤثر في تماسك الأسرة وتكاملها؛ مما تعرض التلميذ إلى عدم الاهتمام بالمدرسة بسبب ما يعانيه من نقص في توفير جميع

الحاجات الأساسية والضرورية للدراسة، وبالتالي يؤدي ذلك إلى انخفاض مستوى التحصيل المدرسي الذي يصل إليه.(عمر عبد الرحيم نصر الله، 2010: 66).

كما أن المستوى الاقتصادي للأسرة يشمل المستوى المعيشي لها، وما تنفقه على أبنائها. فالدخل الضعيف للأسرة يعدّ من أهم المشاكل المادية التي تواجه الأسرة؛ وتسبب لها عوزا في توفير الاحتياجات اللازمة، إذ يترتب على ذلك عدم توفر الجو الصالح للمراجعة، مع ضعف الاستجابة للمتطلبات الدراسية وعلى رأسها لوازم الأبناء، كما أن حجم العائلة الكبير وضيق المنزل؛ قد يعيقان التلميذ في عملية الدراسة واستذكار الدروس؛ مما يؤثر سلبا على نتائج الأبناء الدراسية وتكيفهم المدرسي.(مجموعة من الباحثين، 2004: 29)

كما بينت العديد من الدراسات أن الدخل الضعيف للأسرة يرتبط مباشرة بحاجات التعلم والتربية، فالأسرة التي تستطيع أن تضمن لأبنائها حاجاتهم المادية بشكل جيد من غذاء ومسكن، وامتلاك للأجهزة التعليمية، والأدوات المدرسية والكتب، تستطيع أن تضمن من حيث المبدأ الشروط الموضوعية للتنشئة الاجتماعية السليمة، وعلى العكس من ذلك فإن الأسر التي لا تستطيع أن تضمن لأفرادها هذه الحاجات الأساسية لن تستطيع أن تقدم لأبنائها إمكانيات وافرة لتحصيل علمي ومعرفي كاف.(أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب، 2004: 145)

وتبرز أهمية المستوى الاقتصادي في تحصيل الطلبة الدراسي، حيث يؤثر تأثيرا يكاد يكون مباشرا على التعلم من حيث قدرة الأسرة على تحمل نفقات التعليم وإمكانية إدخال أبنائها المدارس الخاصة ذات المستوى التعليمي المتقدم، ولذا فان الدخل السنوي مثلا يمثل متغيرا في استمرارية الأبناء لإكمال دراستهم، فالأسر المتوسطة والمرتفعة الدخل تعمل على منح أبنائها مزيدا من التعليم العالي أكثر من الأسر ذات الدخول المتدنية، فالبيئة الاقتصادية الفقيرة لا توفر المنبهات والمثيرات المشجعة للنمو المعرفي للأطفال مما يجعلهم يتأخرون عن أقرانهم.

وغالبا ما نجد أن الأبناء الذين يعانون من ضعف في التحصيل الدراسي أغلبهم من الأسر الفقيرة، والعكس صحيح بالنسبة للأسر الميسورة والأسر ذات المستوي المعيشي المتوسط، وهذا ما يؤكده كل من مصطفى فهمي " وكاميليا عبد الفتاح بقولهما: "أن نسبة التأخر الدراسي ترتفع عند الأبناء الذين يعيشون في ظروف اقتصادية سيئة و يقل معدله في الأوساط المتوسطة والغنية، حيث أن هؤلاء الأبناء من البيئات المتدنية يعانون من نقص في الخبرات والمعارف الذهنية، الأمر الذي يعرقل نشاطهم التحصيلي. (محمد مصطفى زيدان، 1986: 29)

إن تدهور الوضعية الاقتصادية للأسرة يدفع الآباء إلى تركيز اهتماماتهم على تحسين المستوى المعيشي والانهماك في العمل وهو ما يجعلهم يصرفون اهتماماتهم عن متابعة أبناءهم وتوفير الدعم المادي والمعنوي اللازم لنجاحهم، كما أن الظروف الاقتصادية الصعبة تُكَوِّنُ لدى التلاميذ اتجاهات سلبية نحو الدراسة والمدرسة، وتدفعهم نحو التخلي عن الدراسة لمساعدة أباءهم على لقمة العيش. ويمكن القول أن الدافع الاقتصادي يساهم بقوة في عملية التعلم والاكتساب، وهذا لا يعني أن كل التلاميذ المنحدرين من أسر فقيرة هم بالضرورة يقعون في الفشل ويتركون مقاعد الدراسة. إن الواقع يثبت أن بعض التلاميذ المنحدرين من أسر معوزة حققوا نجاحا دراسيا وتفوقا على زملائهم.(زقاوة أحمد، 2014 : 44)

♦♦♦

المبحث الثاني- الوضعية الاجتماعية للأسرة والتحصيل الدراسي:

يمارس الوضع الاجتماعي للأسرة دورا هاما في التحصيل الدراسي للتلميذ، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالوضع الاقتصادي، وقد أصبح معلوم اليوم من خلال الكثير من الدراسات أن هناك مشكلات أسرية اجتماعية عموما ناجمة عن حالة عدم الإشباع الاقتصادي كمشكلة تفكك الأسرة. فأغلب هذه الدراسات تشير إلى أن التحصيل الدراسي يضعف لدى تلاميذ الأسر المتصدعة نتيجة لانفصال الزوجين بالطلاق مثلا، فينشأ أبناؤها عرضة للإهمال والتهاون أكثر من غيرهم من الأبناء الذين نشأوا في أسر متماسكة ومتكاملة. و هذا ما أكده "اليحياوي" في دراسة أجراها بتونس أن غالبية أبناء المطلقين حوالي 80 % يفشلون في بلوغ المعدل 10 من 20 وغالبية هذه العينة تنزل معدلاتها عن 7 من 20. (اليحياوي شهاب، 2007).

يعتبر المناخ الأسري عاملا مهما في تحقيق النجاح الدراسي للأبناء، فانعدام الاستقرار داخل الأسرة وتفككها وغياب العلاقات العاطفية يؤدي إلى نتائج سيئة على المستقبل الدراسي للأبناء. وعندما تسود أجواء الأسرة مشاعر الكراهية والصراع والقسوة فإن ذلك ينعكس على شخصية الطفل بصورة سلبية، وتقلل إلى حد كبير من فرص نجاحه وتفوقه النفسي الاجتماعي و الدراسي. (وطفة اسعد علي ، 2003: 40-45)

كما أن غياب أحد الوالدين لفترة طويلة عن الأسرة قد يكون أحد أهم عوامل التغير في بنية السلطة داخل الأسرة نظرا لما يؤدي إليه هذا الغياب من إضافة مسؤوليات جديدة على عاتق الطرف الآخر أي الزوجة أو الأم ، الأمر الذي ينعكس سلبا على تربية الأبناء وتوجيههم وبالتالي على تحصيلهم الدراسي. (أحمد فتحي الزليتي، 2008: 116)

ويعتبر الأب والأم مصدرا الطاقة العاطفية للأبناء وانعدامهما أو غياب أحدهما سيؤثر بدون شك على التوازن الانفعالي للطفل والمراهق مما يسبب له الفشل الدراسي. و توضح الكثير من الدراسات أن الأطفال الذين يعيشون في الأسر ذات الأب فقط أو ذات الأم فقط تكون احتمالية إكمالهم الثانوية أو دخولهم للكلية أقل بكثير عن الأبناء الذين يعيشون مع كلا الأبوين. (شراز محمد بن صالح عبد الله ،2006: 102)

وكذلك **نمط إدارة الأسرة من طرف الأبوين إن كانت شورية أو ديمقراطية أو تسيبية أو تسلطية** حيث يلعب نوع المعاملة داخل الأسرة دورا كبيرا في تأخر أو تقدم الأطفال دراسيا. فالطفل الذي يعيش في جو تسلطي لا يُسْمَحُ له فيه بمناقشة الأبوين في أمر من الأمور ينخفض أداؤه المدرسي كثيرا وهذا ما أظهرته دراسة بروان 1972 ودراسة درفان 1968. (فرج الله صورية، 2019: 40)

فالمشكلات الاجتماعية الأسرية تؤدي إلى إهمال الأبناء وعدم رعايتهم الرعاية اللازمة وفقدانهم للحنان بسبب خلاقات الأبوين أو موت أحدهما أو اضطرار الأب للغياب الطويل أو المتكرر عن الأسرة بسبب العمل أو الهجرة – الداخلية أو الخارجية- أو غير ذلك، كلها مشكلات سلبية من شأنها أن تعيق المسار الدراسي للأبناء، و من جانب آخر نجد أن الرعاية الزائدة للأبناء تسبب هي أيضا تساهلا في التزام الأبناء بالانضباط المدرسي؛ مما يقود إلى التأخر أو التسرب الدراسي لهؤلاء.(تيسير الدويك وآخرون، 1998: 279).

كما أن التحصيل الدراسي مرتبط بالعامل العاطفي للأسرة حيث أن كلا الوالدين يعملان على إرساء علاقات عاطفية مع الأبناء وإن كان الهدف النهائي من هذه العلاقات هو دفع الأبناء تدريجيا نحو استقلالهم الذاتي، بحيث يكونون في نهاية الأمر قادرين على تكوين أنفسهم، وبإمكانهم أن ينالوا ما يريدونه من خلال الحب الذي يكنّه الوالدان لهم،(سعيد محمد عثمان، 2009: 36) وهذه نتيجة أثبتت بالإحصاءات العلمية، فقد أكّدت هذه الأخيرة أن معظم حالات التخلف المدرسي ترجع إلى عوامل التوتر والتفكك الأسري و بشكل خاص إلى فقدان الجو العاطفي في محيط الأسرة.(مصطفى الخشاب، 1985: 191)

الدكتور/ حاتم صيد
hatem.sid@univ-msila.dz

وإن التفكك الأسري بمختلف أشكاله (طلاق، فقدان الآباء، الغياب المتكرر لأحد الأبوين عن البيت...الخ يساهم إلى حد ما في إعاقة النمو الذهني والتحصيل الدراسي للطفل. (بودخيلي محمد، مولاي، 2004 : 381)

وتوضح الكثير من الدراسات التي أشار إليها منصوري كدراسة عبد السلام زهران (1974) وسعد لطوم (1973) ودراسة لاندرمان وباري، أن الأطفال المتأخرين دراسيا ينحدرون من وسط أسري مفكك تسوده علاقات أسرية سيئة، كما أن افتقار التلميذ للحياة داخل الأسرة يؤثر على صحته النفسية وتحصيله اللغوي . أما دراسة لاندرمان وباري فهي تؤكّد أن الأطفال الذين فقدوا أمهاتهم قبل خمس سنوات يجدون صعوبة في الالتحاق بالمدارس ومنه ضعف المذاكرة والتحصيل الدراسي .(منصوري مصطفى، 2005)

خلاصة ما تقدم يبرز أن الوضع الاجتماعي للأسرة بكل تفاصيله من استقرار أسري، ومن تداخل الأدوار، ومن جو عاطفي داخل المنزل.....و غيرها، كلها عوامل ذات تأثير حاسم على نوعية البيئة المنزلية التي يعيش فيها الأبناء وعلى قدرات الإنجاز والتحصيل الدراسي لديهم.

المبحث الثالث- الوضعية الثقافية للأسرة والتحصيل الدراسي:

لقد حدد المستوى الثقافي في كثير من الدراسات بالمتغيرات التالية: مستوى تعليم الأب، مستوى تعليم الأم، مستوى تعلم أفراد الأسرة بخلاف الوالدين، اتجاه الأبوين نحو التحصيل الدراسي، المستوى اللغوي بصفة عامة واللغات الأجنبية بصفة خاصة، مستوى الثقافة الدينية، حجم المؤثرات الثقافية البيتية....

فالمستوى الثقافي للأسرة وخاصة مستوى الأبوين يلعب دورا بارزا في تكوين شخصية الطفل وتحديد معالمها وسماتها مستقبلا، لكون أن الأسرة هي الإطار الثقافي الأول الذي تتحدد فيه ثقافة الطفل، ويتشكل سلوكه واتجاهاته نحو مختلف الأفكار والمواقف في الحياة، كما ينظر إليها على أنها الخلية التي تقوم بوظيفة نقل الثقافة الايجابية والقيم الدافعة إلى الأبناء قصد مساعدتهم على التوافق النفسي والاجتماعي في مختلف مجالات الحياة. و من هذا المنظور فإن الوسط الأسري الثقافي والتعليمي المرتفع يساعد على التوافق، ويعدّ أحد عوامل تحقيق النجاح المدرسي أو الإخفاق الدراسي.

فثقافة الوالدين تؤثر على تحصيل الأبناء وفي رسم مشروعهم الشخصي، وهذا ما أكدته دراسة " وروزن" 1964كما يؤثر المستوى التعليمي للوالدين على نضج الاتجاه المهني والتحصيل عند الأبناء، فالآباء الذين على درجة عالية

من التعليم، والقادرين على التعرف على قدرات واستعدادات أبنائهم؛ يستطيعون أن ينموا اتجاهات إيجابية لدى أبنائهم نحو نوع التعليم الذي يتفق مع هذه القدرات، ويوجهونهم نحو المهنة التي تتفق مع إمكاناتهم. (فرج الله صورية، 2019: 43)

إذن فالناحية الثقافية كالمستوى الثقافي للوالدين له دور كبير في عملية التحصيل الدراسي للتلميذ، فكلما نشأ هذا الأخير في وسط أسري مثقف و متعلم كلما ساهم ذلك في إقباله على الدراسة بالمثابرة والنجاح، وكلما نشأ في وسط ثقافي متدني من حيث هذين البعدين كلما كانت ثقافته و مستواه محدودين، وهذا ما من شأنه أن يحول دون اندماجه في مساره الدراسي بصفة جيّدة، ذلك أن المستوى الثقافي للوالدين ذا تأثير على اتجاهات التحصيل الدراسي العلمية واهتمامه بالمعرفة.

فالأسرة التي تهتم بالاطلاع وتقدر المعرفة و تعمل على **التكوين اللغوي والفكري للأبناء**، ويدخل في ذلك كل ما توفره الأسرة في البيت من كتب ومجلات ودوريات ومن وسائل إيضاح وإعلام مختلفة و غيرها، و التي تبرز مقدار العناية التي توليها الأسرة لهذا الجانب من النمو عند الأبناء.، و حول الموضوع يرى "بلانك و سولومون blank et Solomon " بأن الحرمان الثقافي للأبناء له تأثير سلبي على تفكير التلاميذ وعلى تحصيلهم الدراسي.

ويدخل ضمن البعد الثقافي للأسرة أيضا **المستوى التعليمي للوالدين** والذي يقصد به حجم التعليم الذي تلقاه الوالدان و طبيعة هذا التعليم. حيث أن هذا الأخير يختلف من أسرة إلى أخرى، فقد يكون مستوى الوالدين جامعي أو ثانوي أو إكمالي أو إبتدائي أو أن يكون معدوما، فهو يؤثر إيجابا أو سلبا على الأبناء، فمثلا إذا كانت الأسرة تنتمي إلى الطبقات الفقيرة ماديا أو معرفيا فإن أبناوها سرعان ما يفقدون الأمل في الدراسة، فالعائلات المتعلمة تقدم لأبنائها جوا ملائما للتعلم والدراسة، وتساهم في التكيف المدرسي لمساعدتهم لحل واجباتهم وتعليمهم القراءة (بيير بورديو، 1995: 165).

بينما العائلات غير المتعلمة فهي لا تعتني بحاجيات الأبناء وميولهم ورغباتهم، فلا توفر لهم الوسط المناسب من أجل التحصيل الجيّد والمتابعة والاهتمام بالواجبات، وقد لاحظ العديد من العلماء في هذا المجال وجود علاقة قوية بين تعليم الوالدين والتحصيل الدراسي للأبناء، فالوالدين الحاصلين على تعليم عالي عادة ما يكونان أكثر تفهما للنظام الدراسي وقوانينه من الوالدين غير المتعلمين. وفي دراسة قامت بها الباحثة الأمريكية "بوزن busoon" سنة (1992) أوضحت فيها أن أولياء الأمور المتعلمين عادة ما يكون لهم الدور الأكبر في اتخاذ القرارات الخاصة بأبنائهم، حيث يطالبون

بنقلهم إلى فصول المتفوقين، في حين نجد أن الأولياء غير المتعلمين عادة ما يتركون للمدرسة الحرية في اتخاذ القرارات الخاصة بأبنائهم، ولا يحاولون التدخل في تعليمهم البتة. (فادية عمر الجولاني، د.س:234)

فالعائلة ذات المستوى الثقافي والتعليمي المقبول تساهم في مساعدة طفلها على التكيف الجيّد داخل المحيط المدرسي من خلال متابعته في حل واجباته المدرسية، وتتبع مساره الدراسي، ومعرفة منحنى ارتفاع وانخفاض نقاطه في الامتحانات المدرسية. وتأخذ مساهمة الآباء عدّة أشكال كالنقاش والحوار بينهم وبين أبناءهم حول المدرسة، واختياراتهم الدراسية ومساعدتهم في القيام بواجباتهم، وكذلك الحضور إلى الاجتماعات التي تقيمها المؤسسة التعليمية، والاتصال بالأساتذة والمشاركة في مختلف مجالس المؤسسة لأخذ قرارات تخص أبناءهم. (Deslandes et lafortune،2001,655)

وعليه نخلص بأنه يمكن أن يتأثر التلميذ بانتمائه إلى أسرة معينة بتحصيله الدراسي، من خلال ما يجده من مستويات اقتصادية و اجتماعية و ثقافية وتعليمية لهذه الأسرة.

الدكتور/ صيد حاتم